



الرواية وتمثيل السياسة
تجربة حسن أوريد نموذجاً
عبد العزيز شكود
طالب باحث في علاقة الفلسفة بالأدب
جامعة عبد المالك السعدي. تطوان
المغرب

ملخص المقال:

يسعى هذ المقال الى إبراز العلاقات الممكنة بين عوالم الرواية ومختلف المجالات الفكرية الأخرى، تجاوزاً لنظرة النصوص السردية الكلاسيكية التي حاولت التمرکز حول بنية النص نفسه جمالياً وفنياً. وبالتالي حاولت من خلال هذا المقال تتبع تجليات تمثيل السياسة داخل الرواية المغربية المعاصرة، ممثلة في تجربة حسن أوريد الروائية الفريدة من نوعها، هذه التجربة التي حاولت نقل النص الروائي ليكون واسطة لتمثيل مختلف المجالات المعرفية والفلسفية والمختلفة.



Abstract :

This article seeks to highlight the possible relationships between the worlds of the novel and various other intellectual fields, going beyond the view of classical narrative texts that tried to focus on the structure of the text itself aesthetically and artistically.

Therefore, through this article, I tried to trace the manifestations of the representation of politics within the contemporary Moroccan novel, represented by Hassan Aourid's unique novelist experience, this experience that attempted to transfer the novelistic text to be a medium for representing various cognitive and philosophical fields.



مقدمة:

يعد التمثيل السياسي أحد الركائز المهمة في المجال الأدبي عامة والرواية خاصة، لما يمثله هذا الجانب من معايير وسمات وخصائص جوهرية تعبّر عن الواقع السياسي وما فيه من متغيرات على المستويات كافة، فهذا الجانب بمثابة مادة خصبة لأي كاتب يريد أن يقف على خصائص مجتمعه، ويناقش قضاياها السياسية من خلال آليات فنية تحيل إلى الواقع المعيش -تحت اسم الرواية السياسية-.

والرواية السياسية هي التي تطرح أيديولوجيات تمس الواقع السياسي للمجتمع، فيقوم الكاتب بعرضها في خطابه الروائي، وفق آليات فنية يفرضها الجنس الروائي على الكاتب سواء أكانت بصورة مباشرة أم غير مباشرة، لدى فهي تحمل قناعاته الخاصة، فيتخللها أشكال محددة منوط بعرضها أكثر قناعة وأكثر تأثيراً في المتلقي، من هذا المنطلق عرف طه وادي الرواية السياسية بأنها " الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وكاتب الرواية السياسية ليس منتمياً - بالضرورة- إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه صاحب أيديولوجيا، يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني". (1)

وهذا يحيلنا إلى أن الرواية السياسية يجب أن تحتوي على الترميز والإقناع وإبراز الحجج حتى يستطيع المتلقي التماهي مع ما يتم عرضه من قبل الكاتب، على اعتبار أن السارد يريد أن يعزز توجهه الأيديولوجي تجاه القضية المطروحة وإدخال المتلقي ضمناً فيها، وفي هذا الإطار نجد سيد حامد النساج، يعرفها بأنها " رواية نقد ومعارضة واحتجاج، وهي رواية ضد السلطة أيا كان شكلها، وهي رواية تحرر شامل، مادتها معاناة لموضوعات السلطة للوطن والانتماء السياسي". (2)

ويشير هذا التعريف إلى أن الرواية السياسية ما هي إلا مرآة عاكسة للواقع المعيش، فالكاتب يسخر قلمه، للتعبير عن وطنه الصغير والكبير، ليعرج على هموم المجتمع، والفوارق الطبقيّة المتخللة في بنيته، والصراع الدائر بين الذات المقهورة والآخر الطبقيّ المتسلط بأشكاله كافة سواء كانت منظومة اجتماعية أو أشخاص معينين يتبعون سياسات التهميش والإقصاء والإبعاد، وهذه أمور يقف عليها الكاتب في روايته السياسية التي تحاول تشخيص الواقع من خلال ترجمة أحداثه عبر عوالم التخيل على أساس أن السياسة أصبحت اليوم: " المحرك الأول لمسيرة البشر في أي مجتمع، لأنها هي التي تحدد أصول الحكم، وتنظم شؤون الدولة، على أساس من الوعي بهذا الدور الخطير والمؤثر...". (3)

ومن المعلوم أن الرواية السياسية نتاج الأدب الأوروبي على وجه الخصوص، وأكد ذلك ما ورد عنها في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، حيث إنّها " نوع من الرواية الثرية لم يظهر بغرب أوروبا إلا في أواخر القرن الثامن عشر، وكان اهتمامه منصباً بصفة خاصة على الدعوة لأفكار سياسية معينة وتفنيدها". (4)

يتضح إذن أن تيمة الرواية السياسية فرضتها الصراعات الأيديولوجية والأهواء السياسية المتطاحنة خاصة ذلك الصراع الحاد بين الرأسمالية و الواقعية الاشتراكية، كما تغذت هذه الرواية بموقع الإنسان الغربي ومصيره في ظل أنظمة الحكم المركبة: " حتى إن السوسولوجي لوسيان كولدمان يعرف الرواية الغربية بأنها بحث البطل الإشكالي عن القيم الأصلية في مجتمع متدهور يتسم بالتشيعي والاستلاب والاعترا ب وضيا ع الإنسان وهيمنة القيم الكمية ومعايير السوق، بينما جورج لوكاش يرى أن الرواية بشكل عام لم تظهر في الغرب إلا لتفرز تناقضات المجتمع البورجوازي وتصور صراعه ضد الطبقات الاجتماعية المعاصرة" 1

ومن التعريفات الغربية التي وقفت على الرواية السياسية وبينت درجة حضور الجانب السياسي فيها، تعريف إيرفينج ها (Irving Howe) الذي يقول: " إنني أعني به الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي، بيد أن توضيح كيفية (التحكم) ضرورية، لأن كلمة تحكمي تحتاج إلى تحديد. وربما كان من الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر غلبة أفكار سياسية (political ideas)، أو محيط (milieu) سياسي، إنها رواية تُظهر هذا الافتراض بدون وسيلة صعبة لأي



تحريف تقديمي، ويتبع ذلك إمكانية كسب بعض التحليل المنطقي⁽⁵⁾.

وعلى هذا يتضح أن العلاقة بين ما هو سياسي وما هو روائي علاقة تجاذب وتداخل عضوي، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، فالرواية والسياسة معنيين بالإنسان في مجمله، وبجياته داخل إطاره المجتمعي، كما أن تتبع مسار الروايات العالمية يوضح هذا الحضور للأبعاد السياسية سواء بصورة تحمل مباشرة أو غير مباشرة مع مراعاة الجوانب الفنية في ذلك وما تقتضيه عملية الحكمي فنيا، ولغويا وخطابيا.

وهنا يأتي الفارق الجوهرى بين السياسي والروائي الذي يناقش قضايا سياسية، فـ"عالم السياسة يختلف عن كاتب الرواية السياسية من حيث أسلوب تناول كل منهما للقضية السياسية التي يطرحها، فالعالم يعتمد على الاستقراء الدقيق، والتحليل والمقارنة، والاستنتاج، ثم يختبر نتائجه بعد ذلك، وكلها أمور تتعامل مع العقل، أما الأديب فإن عمله مزاج من الموضوعية والذاتية. ومع ذلك فإن الروائي قد يستخدم أساليب ووسائل عالم السياسة عندما يريد أن يوثق بعض الأحداث الحقيقية في روايته، لكنه حين يعرضها بعد ذلك، فإنه يعرضها من خلال وسائل التعبير الروائي، وبشكل فني، يجسد وجهة نظر في الحياة، تكونت بنظام فردي يقوم على الرفض والاختيار، ويتوقف على الموهبة بلا ريب"⁽⁶⁾.

إذن علاقة الكاتب لا تنفصل عن السياسة، لأنه يعايشها فيصبح بذلك جزءاً من المجتمع، ويكون أثر ذلك مجموعة من الأطر الفكرية تجاه العالم المحيط به، ويتعرض لعلاقة الحاكم بالمشكوك والسياسة التي تتبعها السلطة داخليا وخارجيا ومسار الحرية والديمقراطية، وهذا بالطبع يظهر توجه الكاتب نحو هذه القضايا المطروحة وموقفه منها.

وعليه فإن الروائي المتعمق في تفاصيل الواقع السياسي، العارف لخفاياه وما يضم فيه من سبل السياسة، قادر على سبك عمله الأدبي سبكاً محكماً، يحمل سمات المصادقية التي تساهم في تحقيق الوعي السياسي عوض الاكتفاء بالتصوير الوصفي والفني فقط، كما يحيل إلى واقع حقيقي في قوالب فنية و إبداعية، وكلما كان الروائي ذا خبرة معرفية بالحياة السياسية سواء كان منكباً عليها من كتب التاريخ أو عايشها بنفسه، كانت الرواية واقعية ومعبرة عن حاضر معيش ووعي ناضج من قبل الكاتب.

إن التيمة الرئيسة التي شغلت كُتاب الرواية السياسية وأخذت حيزاً كبيراً في إبداعاتهم كانت هي الحرية بكافة صورها، فالروائي يعري القهر والظلم والتسلط والفوارق الطبقيّة الفارقة والصراعات المتوترة والدامية بين الذات والآخر وما ينتج عنهما من جدل دائر ومستمر، فنأى الرواية وتصبح صورة عاكسة لهذا الواقع الأليم ومشخصة لعوالم السلطان وما يدور في دهاليزه. لذا ظهرت الرواية السياسية المناضلة والثورية، وفي المقابل تظهر الرواية السياسية المتقابلة والمتصالحة مع الآخر المجتمعي (السلطة)، وفي كل الأحيان نجدّها تعبر عن الواقع السياسي بكل صوره وأنماطه وتشكلاته، سواء كان بصورة جدلية أو صورة تمكينية ذات طابع ساخر.

وانطلاقاً مما سبق ذكره فقد اتسم حسن أوريد بأنه شخصية ذات وعي سياسي كبير، حيث دخل باب السلطة من أوسع أبوابها، فكان صورة القصر الملكي في المغرب، بعد تقلد الملك محمد السادس - حفظه الله - كرسي الحكم في المغرب سنة 1999، حيث تولى منصباً حساساً وفي وقت حساس أيضاً، ويتعلق الأمر بمهمة الناطق الرسمي باسم القصر الملكي وهو منصب له مكانته في البلاط المغربي، وبعد تولي عدة مناصب والتدرج في السلم السياسي في مختلف دروبه من مؤرخ للمملكة إلى والي جهة مكناس تافيلالت، فجأة تخلّى الرجل عن السياسة- أو تخلت عنه-، ليتوجه نحو الأدب والفكر والتاريخ، فبدأ في معالجة مشكلات المجتمع المغربي، وناقش قضاياها، وعرضها بصور فنية وبأسلوب أدبي بديع ساعده في ذلك خبرته الواسعة في المجال السياسي وتحليل خطاباتها باعتبارها أستاذاً للعلوم السياسية.

ومن الملاحظ أن حسن أوريد الذي عايش بنفسه السلطة، وكان جزءاً منها، استطاع أن يعبر عنها ويصورها أحسن تصوير،



ويبرز ملامحها وسماتها وما تتسم به من إيجابيات وسلبيات، فقام بكتابة ما يؤمن به من فلسفات سياسية ورؤى فكرية خاصة بالسلطة، حيث تعرض لقضية الحاكم والمحكوم والديمقراطية، وقضايا التهميش والإقصاء، والحريات وغيرها من القضايا التي لها أهميتها في الجانب التاريخي بصفة عامة والجانب الواقعي السياسي بصفة خاصة.

كل هذا يكشف لنا عن مدى قدرة حسن أوريد اللافتة للنظر، على سبك خطابه السردى وخبراته السياسية التي لها دور بارز في كتابته وهذا ناتج عن احتكاكه المباشر بالسلطة وانتمائه لها، مثله في ذلك مثل أغلب أبطاله في الروايات ذات الطابع السياسي كربيعة قرطبة والموريسكي وزينة الدنيا و الموتشو وغيرها.

وما يمكن أن يستشفه المتلقي من كتابات أوريد أن حسه السياسي لم يؤثر على حسه الفكري والأدبي بشكل تام، بمعنى أنه كان محايداً في عرض قضاياها ومناقشاتها وإبراز وجهة نظره بشفافية لا ينحاز فيها إلى السلطة التي كان جزءاً منها، بل انحاز إلى الحقائق التاريخية والوقائع السياسية مما منحه مساحة مريحة في التعبير عن آرائه، وهذا لا يمنع من أنه تعرض لكثير من النقد من حين لآخر من العالم المحيط به.

حسن أوريد السياسي والمفكر في آن واحد، رجل المهام الصعبة، الرجل الذي حمل على عاتقه هموم المجتمع العربي عامة والمغربي خاصة، طرح العديد من الأفكار والآراء المهمة، وظهر ذلك في كتابه (مأزق الإسلام السياسي في العالم العربي / 2015)، وكتاب (مرآة الغرب المنكسرة / 2012) وكتاب (الإسلام والغرب والعمولة / 1999) وفي هذه الكتب عرض أوريد وناقش بمجدة، الأفكار السياسية والاقتصادية للآخر الغربي، وهذا ينم عن انغماسه في التاريخ وانكبابه بشكل نقدي فاحص عليه، حتى هضمه واستوعبه، واستطاع أن يعبر عن وجهات نظره في صور قائمة على الحقائق التاريخية مع الاستعانة بعوالم التخيل والتقنيات الفنية للقيام بذلك.

من عوالم الفكر الخالص إلى الأدب والرواية بالخصوص واصل أوريد تمثيل السياسة وتشريح وضعية المجتمعات العربية من الناحية السياسية، فقد كتب عدة روايات تحيل إلى قدرته التاريخية في الوقوف على المنجز التراثي وتطويره في قالب فني مائز، من هذه الروايات (الحديث والشجن 2020)، (الموريسكي 2011)، (سيرة حمار 2014)، (الأجمة 2014)، (وربيعة قرطبة)، (ورواه مكة)، (والموتشو 2023) وغيرها من الروايات التي لاقت رواجاً على الساحة المغربية والدولية.

هذه الانتاجات الإبداعية ما هي إلا رؤى فلسفية وفكرية عميقة جاءت بصورة تصريحية أو بصورة تلميحية، حيث أخفت في طبائها معالم المشروع الفكري العام لحسن أوريد، تحت غطاء شخوص متعددة سواء كانت شخصيات إنسانية أو حيوانية واقعية أو تخيلية، فالشخصيات الحيوانية التي استلهمها الكاتب وأضفى عليها رؤاه، شخصية الحمار مثلاً، والتي ظهرت في روايته (سيرة حمار) على طريقة "جورج أوريل" في مزرعته الحيوانية المثيرة.

حيث كان الحمار هو اللسان المتحدث والمعبر عن هموم الواقع، كما أنه لجأ إلى شخصية السباع والضباع والأكبش، وظهر ذلك في رواية (الأجمة)، وهذا وإن دل على شيء، فإنما يدل على ثقافة الكاتب الشعبية الغنية، حيث اتكأ على (كليلة ودمنة) واستلهم منه مادته الروائية، وطرح من خلال هذا الاستلهام أسئلته المعرفية والفكرية والفلسفية القلقة التي سببت أرقاً للواقع العربي عامة والمغربي خاصة، كقضية الهوية والانتماء والتهميش وعناصر الهوية والسلطة وغيرها وهذه القضايا ما هي إلا خلاصة تجربة إنسانية حية، عايشها أوريد بنفسه على المستويات كافة.

وتأتي المفارقة في رواية (سيرة حمار)، حيث (أذريال) بطل الرواية الذي عاش بازدواجية، فالعقل إنسان والجسد حمار، ومن خلال هذه الازدواجية عبر الكاتب عن معاناة الواقع السياسي من خلال أزمة الهوية والعلاقة التي تربط بين التاريخ والواقع والسلطة.

هذا المثلث الكوني - إن صح التعبير - استطاع أوريد أن يعرّبه أمام المتلقي، وأن يكشف عن خباياه، من خلال مجموعة من



الأفئعة، مستفيدًا من رمزيتها ومبتعدًا عن مواجهة السلطة والاحتكاك بها " فالشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي لانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجديد -على امتداد التاريخ- في صيغ وأشكال أخرى، وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة". (7)

إن أوريد لم يتوقف عن مواجهة السلطة، وإظهار سلبياتها بل قام وكأنه الجندي الثائر في مواجهة الظلم بكافة صورته، حمل قلمه الناقد ومطرقته النيتشوية وبدأ عملية النقد، ففي رواية (الأجمة) لجأ إلى الشخصيات الشعبية التي وردت عند ابن المقفع في كليلة ودمنة، جعلته يكشف عن الإشكالات التي تؤرق المجتمع العربي ككل، حيث توصل إلى نتيجة سياسية بارزة في التكوين السياسي، فحيث إن نظام السلطة واحد، وأن لعنة الكرسي تصيب كل من يقعد عليه، فمهما اختلفت الشخصيات التاريخية إلا أن الاستبداد والظلم والقهر والتهميش يظل قائما، كأنها بصمة مقترنة بكرسي الحكم ومن يجلس عليه.

ويربط الكاتب بين هذه الرواية (الأجمة) ورواية (الموريسكي) أو بالأحرى يحيل إلى أن النظام السياسي لم يتغير عبر مفارقة سياسية بين ما فعلته محاكم التفتيش وبين ما فعله السلطان السعدي حيث أدب أحد أقرب المقربين ليكون عبرة للآخرين بناء على وشاية كيدية، ويُعلق على ذلك قائلاً "محاكم التفتيش حالة نفسية، وليست المحرقة سوى حلقة من سلسلة. محاكم التفتيش هي الخوف، هي الوشاية، هي الكذب، هي تشويه الحقائق، هي الإرجاف". (8)

ونجد أن رواية الموريسكي قد ناقشت العديد من القضايا من بينها القضايا السياسية، كقضية السلطة والتسلق باسم الدين والاضطهاد، وقضية الحريات والبحث عن وطن وصراع الإخوة على السلطة، وغير ذلك من القضايا التي تعكس مجريات العصر الراهن وما فيه من إشكاليات جسيمة يصعب حلها.

واستطاع أوريد بخبرته الفذة سبك عوالم روايته حيث جمع بين الرواية بوصفها فنًا تخيليا، والسياسة بوصفها واقعًا مجتمعيًا، كما استطاع رصد التحولات الفكرية رغم انتقاله من المكان إلى اللا مكان ومن الزمان إلى اللا زمان، وهذا ينم عن وعي الكاتب بمجريات التاريخ وبالقضايا التي يقف عليها من الناحية الفنية لكتابة الرواية السياسية.

وتبرز هذه الرواية العديد من المتغيرات السياسية التي ظهرت على الواقع السياسي في الفترة الزمنية في ذلك الوقت، مثل قضايا الإقصاء والتهميش للموريسكيين والعدل المجتمعي المفقود، وغياب الديمقراطية، واغتراب الموريسكيين وترحالهم هنا وهناك، بفعل الواقع السياسي الذي أسهم في تشردهم وتفرقهم.

كما بينت الرواية الصراع الطبقي، بالإضافة إلى نزوات الحكم والعلاقة المتوترة بين القبائل من جهة والآخر المسيحي من جهة أخرى. ومن رؤية سياسية إلى رؤية سياسية أخرى، ينطلق بنا حسن أوريد مبحرًا في عوالمه الروائية، معبرًا عن صورة السلطة والسلطان والحكم، ففي رواية (ربيع قرطبة) الذي يشير عنوانها إلى ربيع الأندلس، والذي كان قوام الرواية التعايش مع الآخر جنسًا ودينًا وعرفاً، حيث كان الخليفة المستنصر بالله هو الشخصية المحورية في الرواية والحكاية التي تدور حول نظرة الحاكم إلى الدولة والحكم.

ومن هنا يتجلى الجانب السياسي في الرواية، حيث إننا نعرض للمتلقي صورة الدولة وخبايها السياسية وأسلوب إدارتها للشعب، وقد تربص الكاتب واختار عصر الدولة الأموية في الأندلس، وخاصة عصر حكم المستنصر بالله بوصفه بطل الرواية، لاعتبارات عدة أهمها: حكمه المغاير عن بقية حكام الأندلس، وجدارته في البوح عن مكنونه الإنساني والسياسي.

ويبدأ السرد من نهاية الأحداث حيث المستنصر بالله في أيامه الأخيرة، يروي لأتباعه المخلصين (جودر - زيري - شرحيل) سيرة حياته، والكاتب من خلال هذه الأحداث يقف على هيكل إدارة الحكم في ظل الدولة الأموية الحاكمة في الأندلس، ويعري مزاجية السلطان، وقلقه ووساوسه في اتخاذ القرارات الحاسمة.



والكاتب أيضاً وقف على وصف القصر وعلاقات الحاشية بالسلطة والصراعات الشرسة بين أفراد السلطة الحاكمة، فأوريد عرض الجوانب الإيجابية للسلطة من عمران وحضارة وتمدن، والسلبية أيضاً المتمثلة في الحروب ونظام الحكم المتبع في إدارة البلاد وفي اتخاذ القرارات المصيرية.

وما يميّز هذه الرواية عن مثيلتها في التعرض للسلطة والحكم، أن الكاتب عرى نظم الحكم والسلطة على لسان الخليفة نفسه بوصفه نموذجاً فريداً في الرؤية الحقيقية للسلطة، وليس من رؤية العامة من الخارج. انطلاقاً من تقنية النقد السياسي الذاتي.

ومن خلال هذه الشخصية كشف أوريد صراعاتها النفسي، حيث تعيش ازدواجية مميّزة. "كان أول درس لي في هذا اللقب الذي كنت أحمله، ولي العهد، ولهذا الأمانة التي سوف أتقلدها، خليفة المسلمين، أن أعيش حياتين، وأدبر أمرين متضارين في نفسي، وأتعايش مع هذا التمزق طوال عمري..."⁽⁹⁾ وبهذه الثنائية التي كشفها الكاتب، عكس للمتلقي صورة الحكم وفلسفة السلطة الخاصة في إدارة البلاد، فالقتل والذبح والإعدام والقمع والقهر والاستبداد جزء أساس من ثقافة الحاكم، هذا من جانب، أما من جانب آخر فقد وصف ما ينبغي أن تكون عليه السلطة والدولة من تسامح وتعايش بين أفراد الشعب الواحد والدول المجاورة. وبين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن يكشف لنا أوريد الأوجه القبيحة للسلطة.

ويعد التسامح والتعايش تيمة الرواية التي يسعى أوريد إلى إظهارها، وهو في ذلك يوضح سر ازدهار هذه الفترة التاريخية من خلال اعتمادها على هذه التيمة حيث أصبحت طبيعة الحياة السياسية آنذاك، فيقول في هذا الصدد: "كان على الحكم... أن يدرك أنه أمير على العرب والبربر والقوط والمولدين والمسلمين والمسيحيين واليهود قاطبة". ولعل اختيار هذا النهج الإنساني هو الذي جعل الحكم يعي أن "الحكم ليس غاية مهما كانت وسيلته".

كما عالج أوريد في هذه الرواية قضايا مهمة أرقّت العالم العربي، منها الهوية والتاريخ، والوجود ودوره في الحياة، ثم السلطة والجاء، ألغاز كثيرة تحملها الرواية، ودلالة عميقة تطبعها، حين يقول على لسان المستنصر بالله: "كمّ للتاريخ من ألغاز"⁽¹⁰⁾.

وإذا انتقلنا إلى رواية أخرى وهي (الموتشو) لحسن أوريد، والتي صدرت مؤخراً، نجد الجانب السياسي متوغلاً في الخطاب الروائي بصورة واعية على الرغم أن الرواية في مجملها تخيلية إلا أنها لا تنفصل عن الواقع المعيش، وقد جسدت الواقع العربي عامة والمغربي خاصة أفضل تجسيد، إذ إن أوريد وعى جيداً القضية الفلسطينية وأراد أن يناقشها في روايته هذه، عبر إسقاط في لفكرة الامتزاج والتوائم وتقبل الآخر الإسرائيلي بغض النظر عن دينه وثقافته، فيقول في مقاطع متعددة:

- الحديث عن ركود العرب وخمولهم وتكاسلهم تجاه القضية الفلسطينية، وكشف عن ذلك ببيت شعري للبحثري:⁽¹¹⁾

مَتَى أَرَّتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ
فَلَا تَرْتَقِبْ إِلَّا حُمُولَ نَبِيهِ

- "منظومات هدم الإنسان"⁽¹²⁾

- "لا يقيم العالم العربي وزناً للحياة"⁽¹³⁾

- "العالم العربي لا يوجد"⁽¹⁴⁾

- وحديثه عن أرض العرب القاحلة، وعقر القيادة⁽¹⁵⁾

- "... والحناء سيئة، حناء العرب"⁽¹⁶⁾

- وعن السياسة "جنة هامدة"⁽¹⁷⁾.



هذه الإحالات التي وردت في الرواية تشير إلى المأساة الإنسانية في الوطن العربي، وهي مأساة أساسها السياسة، هذه الأخيرة جعلت البلدان العربية في حالة إنعاش بنفس الطريقة التي يوجد عليها بنيس، نتيجة غياب الوعي الجماعي وانحدار السلوكيات السياسية ذات البعد الواحد، بعد المصلحة الفردية والأنانية المتوحشة.

وتأتي فكرة الامتزاج بين الذات العربية والآخر الغربي من خلال صورة شخصية (بنيس) التي تقابلها شخصية (إستر كوهن)، فمن خلال هاتين الشخصيتين، استطاع أوريد أن يوضح العلاقة الجدلية بين الذات والآخر، ف (بنيس) شخصية يهودي بموية مزدوجة، كان متزوجاً من يهودية ووقعت تحت تأثير الصهيونية ورحلت إلى فلسطين المحتلة -إسرائيل-، فتعيش هذه الشخصية مرارة الفقد والوجع لفقدان زوجته، فهو لا يستطيع أن يراها، فهو يرنو إلى الامتزاج والوحدة، سافر إلى -إسرائيل- ليجتمع بزوجه، لكنه يموت إثر حادث سير من تخطيط المنظمة، كما حكى لنا الراوي داخل الخطاب، وهذا الموقف التراجيدي يحيل المتلقي لاستحالة الوثام.

وتأتي في المقابل شخصية (إستر كوهن) وهي شخصية مغربية يهودية، تركت حبيبها في المغرب وسافرت إلى إسرائيل، تؤمن بأن أرض الفلسطينيين ملك لإسرائيل وليس للعرب، لدى تدافع عن أحقية اليهود بأرض فلسطين (باعتبارها أرضاً للميعاد).

وقد لاقت حثفها أيضاً على يد المنظمة، ومن خلال موثما، تموت فكرة الامتزاج بين الذات والآخر، فيقول السارد: كل من بنيس وإستر معبرين عن عالمين، كان بنيس معبراً عن عالم غلب عليه الشعر والغناء والحنين، وكانت إستر معبرة عن عالم يشكو الانفصام".

يؤكد أوريد داخل الخطاب الروائي من خلال عرضه للذات والآخر، وما ينتج عنهما من جدل وصدام حضاري على استحالة الوثام السياسي والفكري، بل والإنساني بين الذات الشرقية والآخر الغربي المحتل، لكنه في نهاية الرواية يأمل إلى فكرة التعايش بينهما رغم اختلاف الثقافات والروافد، إذ يقول: " يظل الشرق غارقاً في الروحانيات، ويطمر الغرب الروحانيات كي لا يُقَي إلا على العقل. والحل هو التوفيق بينهما، والحل هو ما انتهى إليه أغسطين وابن باجة وابن رشد وابن ميمون وابن خلدون..." (18)

إن أوريد من خلال أحداث الرواية عرض بعض القضايا المهمة التي تخص الواقع السياسي العربي، من بينها: أزمة الهوية العربية، حيث يقول الراوي على لسان أحد الشخصيات " ما يصوغ الإنسان هو ألا يرضخ للمحددات الهوية، والنأي عنها هو التعبير عن الحرية، والإنسية لا تستقيم بدون حرية، لا حرية وسط العسكرة الهوية، أو هويات تحت الإقامة الجبرية". (19)

وناقش موقف الوطن العربي من القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني الدائر والمستمر، وحالة الاغتراب الفكري والروحي وتأثيرها السلبي في نفسية الشخصيات، والعدل الممكن " والعدل يحتوي كلا من الفلسطينيين المهجرين، واليهود المضطهدين، ومن تعرضوا للشواه، وتلظوا بالإسلامية، والأمازيغ في الجبال، من يعدمون ضروريات العيش، ومن يحملون معرة الجذور في محيط ثقافة عربية مهيمنة..." (20)

كما توضح الرواية كل أشكال الاضطهاد " لكم هو ثقيل أن تحكم على الآخر بالزوال وأنت تصدر عن مرجعية أخلاقية". (21)

إن حسن أوريد الإنسان، عبر رواياته التي وقف فيها على الجانب السياسي للوطن العربي عامة والمغربي خاصة، أحال إلى فطنة رجل الدولة وحسن تدبيره في الأمور السياسية وتمكنه من دسائس السلطة ومكائدها...، هذا كله له حضور مهيمن في النص الروائي لأوريد، فأسقط حياته السياسية التي قضاها في ظل السلطة الحاكمة على بطل الرواية، وعرج من خلالها على وصف غرف العمليات داخل الدوايب العليا للقرار، كما أنه صنع مفارقات جوهرية بين الواقع السياسي المغربي الحالي والواقع السياسي المغربي من ذي قبل، كما أنه عرض لطبيعة العلاقة بين الذات العربية والآخر الغربي، ووضح ما بينهما من اختلاف أيديولوجي أملاً في



تطبيق فكرة التعايش بينهما.

لكن، ومن وجهة نظر شخصية يمكن اعتبار رواية الموتشو رواية مغربية خالصة رغم اختفاء السارد وراء القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، ومما يبرر ذلك:

__ الحديث عن الحوت الكبير من خلال شخصية سائق التاكسي وممارساته الاستغلالية، وهي صورة مصغرة ودليل على أن الفساد منظومة معقدة جداً، تبدأ من السمكة البسيطة لتصل إلى الحوت الكبير.

__ وصفه واقحامه لحركة 20 فبراير التي برزت في المغرب إبان ما سمي بالربيع العربي كحل للتغيير كاشفاً أحلامها وآمالها وخيبة الأمل التي رافقت فشل هذه الحركة بسبب تغيير مسارها واستغلالها من طرف الحركات الشعبوية كمطية للتسلق نحو القرار السياسي.

__ حديثه عن مفهوم الردة الحقوقية، التي أدت إلى تراجعات واضحة على المستوى الحقوقي، من خلال مهاجمة الجسم الصحافي بالتنسيق تارة والاعتقال تارات أخرى.

وعموماً فإذا كانت الرواية السياسية سواء الكلاسيكية أو المعاصرة قد حاولت المشاركة الفعالة في الفعل السياسي من خلال عمليات التشخيص والكشف عن نسبية الديمقراطية وهشاشتها وانعدام حقوق الإنسان ونقل أهوال وعذابات السجن والمعتقلات السياسية، فإن أعمال حسن أوريد الروائية بداية بالأجمة مروراً بسيرة حمارة والموريسكي وربيع قرطبة وزينة الدنيا وصولاً إلى رواية الموتشو قد حاولت الانتقال بين الماضي والحاضر لوصف دروب السلطان والأسس السياسية التي ميزت جسم السلطة في الوطن العربي الذي مر تاريخياً بلحظات ربيع زاهر وخريف قاحل، بدول قوية سياسياً بمؤسساتها وتطورها العمراني وتسلط مخيف لم يختلف كثيراً عن جرائم محاكم التفتيش ومجازرها.

الهوامش:

- 1 طه وادي، الرواية السياسية، لوجان، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 2003م، ص13.
- 2 سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، مصر، القاهرة، دار غريب، ط1، د.ت، ص223.
- 3 طه وادي، الرواية السياسية، مرجع سبق ذكره، ص6.
- 4 - مجدي وهبة كامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب-مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1984، ص: 185/186.
- 5- ورد هذا التعريف عند (إيرفينج ها) في كتابه السياسي والرواية، الذي ترجم منه طه وادي فصلاً كاملاً ووضعه ضمن فصول كتابه دراسات" في نقد الرواية. انظر: "طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ص: 225.
- 6- طه وادي، الرواية السياسية، مرجع سبق ذكره، ص6.
- 7 - علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997، ص120.
- 8- رواية الموريسكي، حسن أوريد، ص95.
- 9- رواية ربيع قرطبة، حسن أوريد، ص12.
- 10- نفسه، ص62.
- 11- رواية الموتشو، حسن أوريد، منشورات المتوسط- إيطاليا، ط1- ص108.
- 12- نفسه، ص43.
- 13- نفسه، ص8.
- 14- نفسه، ص129.



- 15- نفسه، ص. 105
16- نفسه، ص. 131
20- نفسه، ص. 196
21- نفسه، ص. 158
22- نفسه، ص. 158
23- نفسه، ص. 103
24- جيل حداوي، أسلوية الرواية. صحيفة المثقف. الطبعة الأولى 2016. ص 14
17- نفسه، ص 241
18- نفسه، ص. 73
19- نفسه، ص. 196
20- نفسه، ص. 158
21- نفسه، ص. 158